تعدُّد الأديان والوثيقة الثاتيكانيّة «الربّ يسوع»

الأب لاشلو صابو اليسوعيّ*

إنّ هذه الوثيقة في «وحدانيّة وشموليّة يسوع المسيح والكنيسة» صدرت يومَ ٥ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٠ عن «المجمع الرومانيّ لعقيدة الإيمان»، وهدفُها المعلَن مناقشةُ «النظريّات النسبيّة التي تعتبر أنّ جميعَ الديانات متساوية، والتي لا تميل إلى تبرير التعدّديّة الدينيّة عمليًّا وحسب، بل شرعًا أيضًا» (الرقم ٤). فالمسألة إذًا تمسّ إلى بعض التجاوزات التي تُلْمَس في الحوار بين الإيمان المسيحيّ وسواه من الأُسَر الدينيّة. وتعلن هذه الوثيقة بوضوح أنّ «عمل المسيح الخلاصيّ، مع روحه القدّوس وبه، يمتدّ إلى الإنسانيّة جميعها، حتّى وراء حدود الكنيسة المرئيّة (. . .) وهذا لا ينسحب على الذين يؤمنون بالمسيح وحدهم، بل على جميع البشر ذوي الإرادة الحسنة» (الرقم ١٢). وبتعبير آخر، فليست القضيّة خلاصَ الأفراد - فهذا الأمر لا شكّ فيه -، بل هي بالحقيقة معنى دياناتهم نفسها الموضوعيّ: هل يجد غير المسيحيّين خلاصهم بسبب دياناتهم أم على الرغم منها؟ وهل تعدّد الديانات يعكس إرادةً إلهيّة لا سبيل إلى إدراكها؟

من الظاهر للوهلة الأولى أنّ الوثيقة الرومانيّة تعني أوّل ما تعني مَن يلتزمون البحث اللاهوتيّ، لا عامّة جمهور المسيحيّين أو غير المسيحيّين. ولئن وَجد المفسّرون أنّ الإعلان محشوّ بالتفاصيل اللاهوتيّة، الدقيقة

(*) Laslo Szabo, s.j.، باحث وأستاذ الكتاب المقدّس في جامعة القدّيس يوسف - بيروت، وجامعة الروح القدس - الكسليك.

أحيانًا (راجع العبارة «مع روحه القدّوس وبه»)، فلأنّهم لم يأخذوا بعين الاعتبار الكتابات الكثيرة والطروحات المتناقضة التي باتت تنتظر إجاباتٍ عنها واضحة، لا سيّما في الأوساط الدينيّة بجنوب القارّة الآسيويّة.

* * *

إنّ المجمع الڤاتيكانيّ الثاني (روما، ١٩٦٢-١٩٦٥) واجه القضيّة بطريقة مبتكرة قبل ظهور النظريّات اللاهوتيّة الجديدة في هذه القضايا. ففي أثناء المجمع المذكور، تخلّت الكنيسة الكاثوليكيّة عن الموقف الذي طالما دافعت عنه ماضيًا، عندما كانت تلمّح إلى أنّ الديانات غير المسيحيّة ما كانت سوى هرطقات وخرافات. وقد أقرّ المجمع، في الإعلان الموسوم بكلمَتَي في عصرنا *(Nostra aetate)* وهو المعنيّ بعلاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحيّة، أنّ الكنيسة «لا ترذل شيئًا ممّا هو حقّ ومقدّس في هذه الديانات، وتُولي تقديرها باحترام صادق الطُرُق المسلوكة هذه في العمل والحياة، وهذه القواعدَ والتعاليمَ، التي، وإن اختلفت في أمور كثيرة عمّا تقول به هي وتعلّمه، لا يندر أن تحمل قبسًا من شعاع الحقيقة التي تنير جميع الناس» (في عصرنا، الرقم ٢).

وفي قرار المعنيّ بِـ نشاط الكنيسة الإرساليّ *(Ad gentes)*، استقى المجمع أقواله من تعليم عدد كبير من آباء الكنيسة وأشار إلى «بذور الكلمة» (الرقم ١١) التي يمكن وجودها حتّى لدى الوثنيّين، بفضل نوع من حضور إلهيّ خفيّ. فعلى كلّ إنسان أن يتبع الحقيقة «بحسب ما يمليه عليه ضميره»، لأنّه «لا يمكن أن تُفْرِض الحقيقةُ ذاتَها على الفكر البشريّ إلّا بحكم حقيقته الخاصّة» (البيان في الحرّيّة الدينيّة، الرقمان ١ و٣). وعليه، فالمجمع ينبذ جميع أنواع العنف أو الضغوط التي تقود إلى اعتناق الناس الإيمان المسيحيّ أو أيّ ديانة أُخرى. وإن هو يعلّم أنّ الديانة الحقّ موجودة في الكنيسة الكاثوليكيّة، فهو يعترف أيضًا بأنّه يمكن روح الله أن يعمل خارجَ الكنيسة المنظورة وبطرق مختلفة تخفى على أعين البشر.

بالتصاريح التاريخيّة هذه نَبَذَ المجمعُ الڤاتيكانيّ الثاني نظريّة الحصر

القديمة التي، بحسبها، وبفعل أنّ المسيح هو الوسيط الوحيد لبلوغ الخلاص، لا خلاص أبديًا «خارجَ الكنيسة»، عملًا بالمقولة الشهيرة التي أطلقها قبريانُس أسقف قرطاجة (توفّي ٢٥٨) ومفادها أنّه «لا خلاص خارج الكنيسة»[١]. ولم يكن المعنيّون بهذه العبارة آنذاك، وفي إثر خلاف كنسيّ داخليّ، أفراد الديانات الأُخرى وحسب، بل أعضاء الشِيَع المسيحيّة التي خرجت على الكنيسة الأمّ. ولطالما أُسيءَ فَهْمُ هذه المقولة لاحقًا، وكأنّها تعني أنّ الذين يجهلون الإيمان المسيحيّ مرذولون للأبد، فصحّح المجمع والتعليم الكنسيّ اللاحق المعنى المقصود معيدانه إلى الأصل، وبذلك وضعا أُسس الحوار والتعاون مع مؤمني سائر الديانات.

* * *

وتسعى الأبحاث اللاهوتيّة، انطلاقًا من التعليم الأخير هذا، لتشرح كيف أنّ الخلاص حصل بيسوع المسيح لجميع الشعوب على نحوٍ شامل يتضمّن كلَّ ما هو حسن وحقّ في الديانات الأُخرى، ممّا يعني أنّ الخلاص الأبديّ، الذي يشارك فيه غير المسيحيّين أيضًا إن هم عاشوا بحسب ضمائرهم، ليس بنموذج آخر من نماذج الخلاص التي تتمّ خارج المسيح وبدونه، بل هو خلاص في المسيح وبوساطته، لأنّ يسوع أخذ على عاتقه أن يتضامن مع الأُسرة البشريّة الواسعة جميعها.

والنظريّات المستجدّة الأخيرة تتساءل: هل تصل هذه المقاربة «المتضمّنة» إلى حيث يجب أن تصل؟ هل تراعي فعلًا حقوق سائر الديانات؟ فبعض اللاهوتيّين، لا سيّما في جنوب القارّة الآسيويّة، يريدون أن يُظهروا أنّ غير المسيحيّين لا يجدون الخلاص الأبديّ على الرغم من دينهم، بل في دينهم وبفضل أمانتهم. وعلى هذا الصعيد تنشأ الاختلافات التي يريد الإعلان الرومانيّ الأخير رفع اللبس عنها. أمّا تلك النظريّات التي تتعارض مع الإيمان الكاثوليكيّ، والتي لا تذكر الوثيقة إطلاقًا أسماء أصحابها، فيمكن إدراجها في ثلاثة محاور أساسيّة: المسيح، الروح

(١) باللاتينيّة: *Extra ecclesiam nulla salus*.

القدس، ملكوت الله.

في ما يختصّ بالمسيح، فبعضهم يشدّد على الفرق بين المسيح - الكلمة الأزليّ والمسيح التاريخيّ. و«الكلمة»، إنْ أُهمل التجسُّد، يمكن وجوده في ديانات ووجوه تاريخيّة أُخرى يكون فيها مستترًا. فالكلمة الأزليّ هو مُلك جميع الأديان ويظهر فيها. أمّا دور الكنيسة، فهو، في المقابل، مرتبط بدور يسوع التاريخيّ. إلّا أنّ الوثيقة الرومانيّة تذكّر بأنّه لا يمكن التغاضي، أقلّه لخدمة الحوار، عن تجسّد الكلمة الأزليّ، وبالتالي عن الفداء من خلال سرّ الفصح، سرّ الصليب والقيامة.

ويشدّد اللاهوتيّون الآسيويّون أيضًا على عمل الروح القدس الشامل، خارج إطار الكنيسة المرئيّ. أجل، «إنّ الروح يهبّ حيث يشاء»، غير أنّ بعضهم يميلون إلى فصل عمل الروح عن عمل يسوع المسيح، ويرون في الروح، الشامل الوجود، سببًا آخر ليؤكّدوا القيمة الخلاصيّة الكائنة في مختلف الديانات بمعزل عن المسيح نفسه. لذا أكّدت الوثيقة الرومانيّة عمل المسيح الخلاصيّ «مع روحه القدّوس وبه».

وبموازاة الظاهرتَين السابقتَين، تركّز النظريّات المعنيّة، بشدّة، على الملكوت، وغالبًا ما يكون ذلك حتّى بدون أن نضيف إلى هذه الكلمة كلمة الله. وهذا الملكوت في رأيها يشمل جميع الديانات، التي هي مدعوّة إلى بنائه في إطار حوار متبادل. ويكون عند ذاك «إنسانيّةً جديدةً» توحّد جميع البشر في جماعات محبّة وعدل وسلام. بيد أنّه لا يمكن المسيحيّ أن يتجاهل أنّ يسوع المسيح لم يكتفِ بإعلان ملكوت الله، بل أعلن أنّه هو الذي فيه ومعه صار الملكوت حاضرًا. وبإنجيله وسرّ فصحه، يُضفي على الملكوت معنًى خاصًّا مميّزًا، وبدونه يبدو الكلام على الملكوت، حتّى وإن ورد في إطار خبرة الحوار، مجرّد بحثٍ عن إيديولوجيا آنيّة.

وعليه، فـ«التيمات» الثلاثة هذه: المسيح والروح والملكوت، بالإضافة إلى سواها من المفاهيم، تظهر، بفعل الإعلان الربّ يسوع، وقد سُلّط عليها ضوء جديد. وسبق أن أشرنا إلى أنّ الموضوع ليس الخلاص

الأبديّ الذي سيناله جميع الناس ذوي النيّة الصالحة، فلا جدال في ذلك الأمر. بل المطلوب هو مناقشة عدد من النظريّات اللاهوتيّة التي تهدف إلى إعلاء شأن معنى الديانات غير المسيحيّة الموضوعيّ، على نحوٍ لا يبرّر تعدّد الأديان عمليًّا وحسب، بل بموجب إرادةٍ إلهيّة خفيّة سرّيّة. وفيما ينبذ الإعلانُ العقليّةَ اللامبالاتيّة التي تميل إلى القول بأنّ «جميع الديانات متساوية»، فهو، إلى ذلك، يحثّ الباحثين على متابعة الحوار بين الأديان.

* * *

وبالطبع فإنّ **الحوار** هو غير **الجدل**، فلا يمتّ بصلة إلى تلك المجادلات العلنيّة الحادّة التي طالما راجت في الماضي. إنّه، على عكس ذلك، تبادل يتّسم بروح الصداقة ويسعى لوجود مجال للتفاهم. وفي هذا الحوار لا يكون المسيحيّون «واهبين» وحسب، بل يكونون أيضًا متعلّمين وآخذين. ويمكن هذا الحوار أن يتيح لكلا الفريقين فَهْمَ الشموليّة التي أُوحي بها في المسيح، ومن ثمّ إدراكَ وحدةِ العالم والجنس البشريّ إدراكًا أفضل. وإن فُهِمَ الموقف المسيحيّ من وحدانيّة الخلاص، على هذا النحو المذكور، فإنّه لا يعود يبدو وكأنّه طَرْح «إمبرياليّ» يهيمن على سائر الديانات ويظلمها. وهو على كلّ حال يفترض علاقات لا تتّسم بالتسامح والاحترام وحسب، بل بالحوار والخدمة المتبادلة بين الأديان.

لا شكّ في أنّ المسيحيّة، بحسب المجمع الڤاتيكانيّ الثاني، تقرّ بكلّ ما هو في الديانات الأُخَر حقّ وصالح ومقدّس، وهي تحترمه، سوى أنّها، من جهة ثانية، لا تتردّد في التشكيك في كلّ مضمون قد يسيء إلى شرف الله أو كرامة الإنسان. وهي الحال، على سبيل المثال، عندما يختلط الإلهيّ والإنسانيّ بحيث يُمسي الله والإنسان معًا لا ينالان ما تستحقّه كرامة كلّ منهما من الاحترام. «إنّ التكافؤ، الشرط الذي لا بدّ منه للحوار، يعني مراعاة الكرامة الشخصيّة بالتساوي بين الفرقاء. ولكنّه لا يعني حتمًا التساوي بين المعتقدات» (الربّ يسوع، الرقم ٢٢).

إنّ الاجتهادات النظريّة هذه لا تعتّم أن تصبح عمليّةً ملموسةً لدى المسيحيّين الذين ينظرون إلى حياة يسوع المسيح على أنّها المثال والقاعدة. فإنّه، هو السيّد، لم يأتِ ليتسلّط على الآخرين، بل ليخدم ويهب حياته للكثيرين (مرقس ١٠: ٤٥). وإنّه، هو الذي تخلّى عن ذاته حتّى مات من جرّاء ذلك، مُجِّدَ وظهر مخلّصًا للكون. وهكذا، فمَن يؤمن بيسوع المسيح، إذا ما التزم كلّيًا خدمة البشر وبذل الذات، سار حتمًا في طريق الانفتاح على سائر الديانات من خلال علاقات الحوار والخدمة.

* * *

ملحق أوّل

دليل إلى قراءة «الربّ يسوع»

بحسب هذا الإعلان،

١ - يجب على الكاثوليكيّ الإيمان بما يلي إيمانًا راسخًا:

- إنّ الوحي في يسوع المسيح كامل ونهائيّ، ويسوع وحده هو كلمة الله. لذا فثمّة تدبير خلاصيّ واحد لا ثاني له.
- ثمّة اختلاف بالطبيعة بين الإيمان المسيحيّ من جهة، ومجرّد المعتقد الذي هو نصيب غير المسيحيّين ضمن إطار دياناتهم. وهذا المعتقد «خبرة دينيّة تبحث عن الحقيقة المطلقة».
- صفة النصوص الموحاة يجب أن تُحْصَر في نصوص الكتاب المقدّس. أمّا في الديانات الأُخر، فالنصوص المقدّسة التي تحتوي على «عناصر من الصلاح والنعمة»، فإنّما تنال ذلك بفضل سرّ المسيح.
- الخلاص بيسوع المسيح يشمل الإنسانيّة جمعاء، لا مَن يؤمنون به وحدهم.
- يسوع هو وسيط الخلاص الوحيد. أمّا الوساطات الأُخرى فتنال

قيمتها من قيمته التي هي «حصريّة، وشاملة، ومطلقة».

- تمام الخلاص بالمسيح منوط بالكنيسة الكاثوليكيّة، ولا يمكن الفصل بين المسيح والكنيسة، إذ إنّهما يؤلّفان «مسيحًا كلّيًّا» واحدًا. فالكنيسة هي «ضروريّة» للخلاص.
- كنيسة المسيح تستمرّ موجودةً «بالتمام» في الكنيسة الكاثوليكيّة وحدها.

٢ - وإنّ ما يلي من الطروحات هو مخالف للإيمان الكاثوليكيّ:

- وحي المسيح يكمّل ما في الديانات الأُخَر من وحي.
- ثمّة «كلمة أزليّة» صحيحة خارج الكنيسة (وبالتالي «أشمل»)، تتميّز عن الكلمة الذي تأنّس في يسوع منذ ألفَي سنة، وتخلّص «أبعَدَ» منه.
- كنيسة المسيح مجموعة كنائس وجماعات كنسيّة.
- الميل إلى تضخيم قيمة «ملكوت الله» على حساب الكنيسة.
- الكنيسة طريق إلى الخلاص بين طُرُق أُخرى.
- التكافؤ في الحوار يعني التساوي.

* * *

ملحق ثانٍ

مقتطفات من الإعلان «الربّ يسوع»

§ ٤ - إنّ استمراريّة بشارة الكنيسة في سيل نقل الرسالة هي اليوم في خطر، تهدّدها نظريّات نسبيّة لا تميل إلى تبرير التعدّديّة الدينيّة عمليًّا وحسب، بل شرعًا أيضًا (أو: مبدئيًّا). وهذه النظريّات تعتبر أنّ بعض الحقائق باتت في حكم الماضي، ومن أمثال ذلك الطابع النهائيّ والمكتمل في وحي يسوع المسيح، وطبيعة الديانة المسيحيّة في مقابل الديانات الأُخر، وإلهام أسفار الكتاب

المقدّس، والوحدة الشخصيّة بين الكلمة الأزليّ ويسوع الناصريّ، ووحدة تدبير الكلمة المتجسّد والروح القدس، ووحدانيّة شموليّة الخلاص الذي يوفّره سرّ المسيح، والوساطة الخلاصيّة الشاملة عن طريق الكنيسة، وعدم الانفصال، مع ما في ذلك من تمييز، بين ملكوت الله وملكوت الله والكنيسة، واستمرار كنيسة المسيح الوحيدة في الكنيسة الكاثوليكيّة.

هذه النظريّات تستند إلى بعض المسلّمات ذات الطبيعة الفلسفيّة أو اللاهوتيّة، التي تجعل من الصعب فهم الحقيقة الموحاة واستقبالها. ونشير هنا إلى بعضها: الاعتقاد أنّ الحقيقة في ما يتعلّق بالله لا تُدرك ولا يمكن التعبير عنها، حتّى بواسطة الوحي المسيحيّ؛ الموقف النسبيّ في ما يختصّ بالحقيقة، ونتيجته أنّ ما هو حقيقة لبعضهم ليس بحقيقة لبعضهم الآخر؛ التعارض الجذريّ الذي يُعلَن بين العقليّة المنطقيّة الغربيّة والعقليّة الرمزيّة الشرقيّة؛ (. . .) صعوبة الإحساس بوجود أحداث نهائيّة وإسكاتولوجيّة في التاريخ، فضلًا عن إدراكها؛ تجريد تجسّد الكلمة الأزليّ في التاريخ من بُعده الميتافيزيقيّ وتحجيمه إلى مجرّد ظهور الله في التاريخ؛ الانتقائيّة في البحث اللاهوتيّ، وهي تتّخذ لها أفكارًا من سياقات فلسفيّة ودينيّة مختلفة، غير آبهةٍ لا بترابطها المنطقيّ ولا بتوافقها مع الحقيقة المسيحيّة؛ وأخيرًا الميل إلى قراءة الكتاب المقدّس وتفسيره بمعزلٍ عن تقليد الكنيسة وتعليمها الرسميّ.

§ ٩ – في التفكير اللاهوتيّ المعاصر، غالبًا ما يُفْهَم يسوع الناصريّ وكأنّه وجهٌ تاريخيّ خاصّ، محدود، يوحي بالألوهة ولكن بدون حصريّة، مكمّلًا حضورات أُخرى تحمل الوحي والخلاص. وعليه، فإنّ اللانهاية والمطلق وسرّ الله الأقصى، تظهر على هذا النحو للإنسانيّة بأشكال عديدة، وعبر وجوه تاريخيّة يكون يسوع الناصريّ أحدها. وعمليًّا «يكون في نظر بعضهم أحد الوجوه الكثيرة التي اتّخذها الكلمة على مرّ الزمن» ليتواصل مع البشريّة

تواصلًا خلاصيًّا (. . .).

§ ١٠ - هذه الطروحات تناقض بشدّة الإيمان المسيحيّ، إذ يجب الاعتقاد اعتقادًا راسخًا (. . .) أنّ يسوع الناصريّ، ابن مريم، هو - وهو وحده - ابن الآب وكلمته.

§ ١٢ - (. . .) وبعضهم الآخر يتصوّرون احتمال وجود تدبير للروح القدس طابعه أشمل من تدبير الكلمة المتجسّد، المصلوب والقائم من الأموات. وهذه المقولة أيضًا مخالفة للإيمان الكاثوليكيّ، الذي يرى، على عكس ذلك، أنّ تجسّد الكلمة الخلاصيّ هو حدث ثالوثيّ. ففي العهد الجديد لا يؤلّف سرّ يسوع، الكلمة المتجسّد، مكان حضور الروح القدس ومبدأ فيضه على الإنسانيّة في الأزمان المسيحيّة وحدها وحسب، (راجع أعمال ٢: ٣٢-٣٦؛ يوحنّا ٧: ٣٩؛ ٢٠: ٢٢؛ ١ قور ١٥: ٤٥)، بل في الزمن الذي سبق مجيء المسيح في التاريخ (راجع ١ قور ١٠: ٤؛ ١ بطرس ١: ١٠-١٢).
ختامًا، لا يعمل الروح القدس إلى جانب المسيح أو خارجًا عنه. فثمّة تدبير خلاصيّ واحد لله الأحد والثالوث، يتحقّق في سرّ تجسّد ابن الله وموته وقيامته، ويوضع موضع التنفيذ بمشاركة الروح القدس ويتّسع في بعده الخلاصيّ للبشريّة جمعاء.
لذا يجب الاعتقاد اعتقادًا راسخًا وحقيقةً من حقائق الإيمان الكاثوليكيّ، أنّ إرادة الله الأحد الثالوث الخلاصيّة الشاملة ظهرت وتمّت على نحو نهائيّ في سرّ تجسّد ابن الله وموته وقيامته (. . .).

§ ١٦ - على المؤمنين أن يعتقدوا أنّه توجد استمراريّة تاريخيّة - مؤسّسة على الخلافة الرسوليّة - بين الكنيسة التي أسّسها المسيح والكنيسة الكاثوليكيّة: «إنّها كنيسة المسيح الوحيدة [. . .] التي سلّمها مخلّصنا بعد قيامته، بطرسَ ليكون راعيها (يوحنّا ٢١: ١٧)، وأوكل إليه وإلى الرسل الآخرين مهمّة نشرها وإدارتها (متّى

٢٨ : ١٨ وما يليها)، وقد جعل منها للأبد «عمود الحقيقة وأساسها» (١ طيم ٣: ١٥). هذه الكنيسة بصفة كونها مجتمعًا مكوّنًا ومنظّمًا في هذا العالم، توجد وتقوم في الكنيسة الكاثوليكيّة، يسوسها خليفة بطرس والأساقفة الذين هم في شراكة معه». وقد أراد المجمع الڤاتيكانيّ الثاني، باعتماده العبارة «تقوم في»، إعلان مقولتَيْن عقيديّتَيْن: من جهة، أنّ كنيسة المسيح، على الرغم من الانقسامات بين المسيحيّين، يستمرّ وجودها بالتمام في الكنيسة الكاثوليكيّة وحدها. ومن جهة أُخرى «أنّ عناصر تقديس وحقيقةٍ كثيرة موجودة خارج بنيتها ونُظُمها»، أي في الكنائس والجماعات الكنسيّة التي لم تدخل بعد في شراكة تامّة مع الكنيسة الكاثوليكيّة. إلّا أنّه يجب التأكيد في شأن تلك الكنائس والجماعات أنّ «قوّتها تنبع من كمال النعمة والحقيقة الذي أُوكِل إلى الكنيسة الكاثوليكيّة».

§ ١٧ - تُوجَد إذًا كنيسة للمسيح واحدة، تقوم في الكنيسة الكاثوليكيّة، يسوسها خليفة بطرس والأساقفة الذين هم في شراكة تامّة معه. أمّا الكنائس التي، على الرغم من عدم مشاركتها الكنيسة الكاثوليكيّة مشاركةً تامّة، تظلّ متّحدةً بها بوشائج وثيقة جدًّا كالتسلسل الرسوليّ والإفخارستيّا الصحيحة، هي كنائس خاصّة حقيقيّة. ومن ثمَّ فكنيسة المسيح حاضرة وفاعلة في تلك الكنائس على الرغم من غياب الشراكة التامّة بينها وبين الكنيسة الكاثوليكيّة، بسبب عدم قبولها العقيدة الكاثوليكيّة التي تقول بأنّ أسقف روما يتمتّع عمليًّا بأولويّة على جميع الكنيسة، ويعمل بها بموجب الإرادة الإلٰهيّة.

وفي المقابل، فإنّ الجماعات الكنسيّة التي لم تحتفظ بالأسقفيّة الصحيحة وبما لسرّ الإفخارستيّا من جوهر حقيقيّ وكامل، ليست كنائس بالمعنى الصحيح، سوى أنّ المعمّدين في تلك الجماعات منضمّون إلى المسيح بفعل العماد، وهم بالتالي في نوع من الشراكة مع الكنيسة وإن غير كاملة (...).

§ ١٩ - إذا ما نظرنا إلى العلاقات بين ملكوت الله وملكوت المسيح والكنيسة، لا بدّ في كلّ الأحوال من تحاشي المقولات الأحاديّة الجانب، كمثل تلك المفاهيم التي تركّز عمدًا على الملكوت وتعرّف عن نفسها أنّها «تتمحور حول الملكوت»، وهي تُبرز صورة كنيسة لا تفكّر في نفسها، بل تهتمّ فقط بأن تشهد على الملكوت وتخدمه. إنّها، على ما يقولون «كنيسة من أجل الآخرين» كما أنّ المسيح هو «إنسان من أجل الآخرين» [. . .]. فإلى جانب نواحٍ إيجابيّة، ثمّة، في تلك النظريّات، نواحٍ غالبًا ما تكون سلبيّة. أوّلًا، إنّها لا تحسب حسابًا للمسيح، والملكوت الذي تأتي على ذكره مؤسَّس على محور إلٰهيّ، لأنّه، بحسب قولهم، لا يمكن الذين ليسوا لهم الإيمان المسيحيّ أن يفهموا المسيح، في حين تستطيع الشعوب والثقافات والديانات المختلفة أن تلتقي حول الحقيقة الإلٰهيّة الواحدة مهما كان اسمها. وللسبب عينه، تولي تلك النظريّات سرَّ الخلق أهمّيّة خاصّة، إذ إنّ هذا السرّ ينعكس في مختلف الثقافات والمعتقدات، ولكنّها لا تقول شيئًا في سرّ الفداء. أضف إلى ذلك أنّ الملكوت، على النحو الذي تفهمه، يفضي إلى تهميش الكنيسة والحطّ من قدرها، وذلك بداعي ردّة الفعل على إبراز «مركزيّة الكنيسة»، وهو مفهوم بات في نظرها من مخلّفات الماضي، ولأنّها لا تعتبر الكنيسة إلّا علامة لا تخلو، إلى ذلك، من الالتباس. فهذه الطروحات تخالف الإيمان الكاثوليكيّ لأنّها تنكر وحدانيّة علاقة المسيح والكنيسة بملكوت الله.

§ ٢٢ - إنّ نقل الرسالة إلى الأمم لا بدّ له، في الحوار بين الأديان أيضًا، أن يظلّ اليومَ وعلى الدوام، ضرورةً فاعلة. «فالله يريد أن يخلّص جميع البشر ويصلوا إلى معرفة الحقيقة» (١ طيم ٢: ٤). الله يريد خلاص الجميع بواسطة معرفة الحقيقة، والخلاص موجود في الحقيقة. والذين يطيعون دوافع روح الحقّ هم في طريق

الخلاص، بيد أنّه على الكنيسة، التي أُوكلت إليها هذه الحقيقة، أن تذهب لملاقاة رغبتهم فتحملها إليهم. ولأنّها تؤمن بمشروع الخلاص الشامل، يتوجّب عليها أن تكون مرسَلَة. فالحوار إذًا، مع كونه جزءًا من رسالة الكنيسة في نقل الإنجيل، ليس إلّا أحد أعمالها في رسالتها نحو الشعوب. والتكافؤ، وهو شرط من شروط الحوار، يعني تساوي الكرامة الشخصيّة لدى الفرقاء، لا تساوي المعتقدات، وبأولى حجّة لا التساوي بين يسوع المسيح - الله نفسه المتأنّس - ومؤسّسي الديانات الأُخرى. فعلى الكنيسة، في ضوء المحبّة واحترام الحرّيّة، أن تقوم، أوّل ما تقوم، بأن تُعلن للجميع الحقيقة التي أوحاها نهائيًّا الربّ يسوع، وتعلن أيضًا أنّه من الضروريّ، لمَن يريد المشاركة كلّيًّا مع الله الآب والابن والروح القدس، أن يتوب إلى المسيح يسوع، وينتمي إلى الكنيسة بواسطة العماد وسائر الأسرار (...).

(نقله عن الفرنسيّة الأب كميل حشيمه اليسوعيّ)